الانسان المجهول

لاسماعيل مظهر

٣ — أثر علوم الآلة والطبيعة والكيمياء في تكييف بيئتنا

إنّ البيئة التي كوّنت جسوم آبائنا الاولين وكيفت ارواحهم ، طوال الآلاف المؤلفة من السنين ، قد استبدلت الآن بغيرها . ولقد مرّ بنا هذا الانقلاب الصامت من غير ان نحسّه غالباً . وكذلك لم ندرك مالهُ من الشأن . ومع هذا فانهُ احد المآسي الكبرى التي يرويها تاريخ الانسان . ذلك بأن تغيراً ما يصيب المحيط الذي يشمل الاحياء ، انما يترتب عليه اضطرابات هذا العرق الاثر . لهذا ينبغي لنا ان نحقق مدى تلك التحولات التي فرضها العلم على اسلوب الحياة التي عاشها أسلافنا ، ومن ثمّ علينا بالذات .

فمنذ بداءة العصر الصناعي ، اضطر فريق كبير من الناس ان يعيشوا في مساحات من الارض ضيقة محدودة . فان العمال قد سيقوا الى التجمع : إما في ضواحي المدن الكبرى ، وإما في قرى اقيمت لهم . وهم يعملون في المصانع ساعات محدودة ، ويقومون بأعمال سهلة وعلى وتيرة واحدة ، وينقدون اجوراً حسنة . وكذلك ترى المدن وقد اكتظت بعمال المكاتب وخدام الحوانيت والمخازن وكتاب المصارف والادارات العامة والاطباء والمحامين ومعلمي المدارس ، غير تلك الجموع الغفيرة التي تكسب قوتها ، بالذات او بالواسطة ، من التجارة او الصناعة . وما العامل في الواقع الاّ مكائن كبيرة ، حسنة الإضاءة تامة النظافة . ودرجة حرارتها واحدة لا تتغير تقريباً . واجهزة التدفئة والتهوية ، ترفع درجة حرارتها شتاء ، وتخفضها صيفاً . في حين ان المُطَرّحات (ناطحات السحاب) التي تشاهدها في المدن الكبرى تدجلت من الشوارع والطرقات ما يشبه الاغوار السحيقة . وقد استبدل ضوء الشمس في داخل المآثر بأضواء كهربية غنية بالاشعة فوق البنفسجية . واستعيض عن هواء الشارع المشبع بأدخنة النزولين ، في المكاتب

والمعامل ، بهواء تي تجذبهُ اليها جهازات التهوية المركبة فوق الاسطح، من طبقات الجو العليا . وقد عمل على حماية سكان المدن الكبرى من كل ما قد يحتمل ان ينزل بهم تغير الطقس من المكدِّرات . ومع هذا كله ، فهم عاجزون عن ان يعيشوا كما عاش اسلافهم ، بمقربة من معاملهم او مخازنهم او مكاتبهم . فالاغنياء يحتلون العمائر الضخمة القائمة على جوانب الشوارع الكبرى . وعلى قمم الابراج العليا يعيش «ملوك العمل» في صروح ممرَّدة، تحيط بها الاشجار والحشائش والازاهير. يعيشون هنالك ، محصنين عن أن يصل اليهم رُغاء أو لغط او تراب ، او أي من المكدرات الاخرى ، كما لو كانوا يعيشون في قمم الجبال الشاهقة . يعيشون في عزلة عن العامة اين منها انفراد اسياد القطائع خلف اسوارهم وقلاعهم في قصورهم الحصينة . اما متوسطو الحال ، والحري الذين هم أقل غنىً عن أولاء ، فيعيشون في شقق فيها من التعاسُم مالم يحلُم بمثله لويس الرابع عشر ، أو فردريك الاكبر . وكثيرهم الذين يعيشون بعيداً عن المدن ، فتحملهم قطارات سريعة مساء كل يوم زرافات غفيرة الى حيث يجدون الطرقات المتسعة تشق رقعاً من الارض اخضوضرت بالحشائش ، وارتال من الاشجار تقوم صفوفاً ، وعلى جانبيها بيوت جمعت كل اسباب الراحة والهناء . أما العمال وصغار المستخدمين، فحياتهم أرقى من حياة الاغنياء في قارط الزمن . فجهازات التدفئة التي تفسق درجة الحرارة آليًّا في المنازل ، والحمّامات ، والمبرِّدات ، والمحامي الكهربية ، والادوات المنزلية التي أعدت للطبخ وتنظيف الحجرات ، تضفي على مسكن كل انسان ، لا في المدن والضواحي وحدها ، بل في الريف ذاته ، طابعاً من الهناءة ، وتزوِّدها بعوامل السعادة ، ما كنت لتقع عليها في غير مساكن قلة من الافراد ذوي الامتياز

مع تغير المسكن ، تغير اسلوب الحياة . والسبب في هذا التيسُّر راجع في أكثر الامر إلى الزيادة في سرعة المواصلات . وفي الحق إنهُ لظاهر أن القطارات الحديثة والبواخر والطيارات والسيارات والبرق والتلفون ، سلكيًّا ولاسلكيًّا ، قد كيَّفت العلاقات القائمة بين الافراد وبين الامم في انحاء الارض جميعاً . فان الفرد الآن في مستطاعه ان ينجز من العمل اكثر مما كان في مستطاع زميله الاول اضعافاً . ويشترك في عدد اكثر من الاحداث ، وفي كل يوم يتصل بخلائق جُدد . والفترات التي يقضيها في هدوء او عطل من العمل ، إنما هي فترات نادرة في مجرى حياته. والعشيرة الضيقة الحدود، عشيرة الاسرة او عشيرة الأُسرة ، قد تبخرت وزالت . فالاقبال على غشيان دور الحياة والمسارح ، أو القيام باعمال الرياضة البدنية ، والاندية والمجتمعات بأنواعها ، ناهيك بالجامعات العظيمة والمعامل والمخازن الكبيرة والفنادق ، عامة ذا قد أدى الى توثيق عادة العيش في جماهير . فالتلفون والراديو والحاكي بما تسجل من حوادث ، تنقل بغير انقطاع عامة الجمهور ونقائصه ، كما تنقل مسراته وصوره النفسية الى كل بيت ، مهما كانت عزلته

وانقطاعه عن العالم المتمدن . وعلى الجملة فقد اصبح كل فرد ذا اتصال ، سواء أمباشرة ذلك كان أم بالواسطة ، بغيره من الخلائق البشرية ، واقفاً على جميع الحوادث كبيرة كانت ام تافهة ، سواء أفي القرية التي يعيش فيها وتعلّمت ام في المدينة المجاورة ، ام في طرف بعيد من اطراف الدنيا الفسيحة . ففي مستطاع من يقيم في ركن منعزل من اركان الريف الفرنسي ان يستمع الى الالحان التي تتجاوب بها جنبات وستمنستر ، كما ان فلاحاً في « فيرمونت » قد يصغي ان اراد ، الى خطيب يتكلم في برلين او لندن او باريس

حيثما ولّيت وجهك ، في المدينة ام في الريف ، في المساكن الخاصة ام المعامل ، وفي دور الصناعة والطرقات والحقول والضياع ، ترى ان الآلات قد انتقصت من مقدار الجهد الانساني . حتى لقد اصبح من غير الضروري في هذا العصر ان تمشي . واستعيض بالمرقاة عن السلم ، والسيارات العامة والعربات والمتحركات بأنواعها اصبحت مباءة الجميع وملتسهم في الانتقال مهما قصرت المسافات . كذلك ترى ان ضروب الرياضة البدنية الطبيعية كالمشي والجري على الارض الخشنة وتسلق الجبال واثارة الارض بالعمل اليدوي وقطع الحوجات بالفؤوس والعمل مع التعرض للمطر والشمس والريح والبرد والحرارة ، قد استبدلت بأنواع من اللعب منسقة بحيث تبعدنا عن الخطر ، وبصنوف من الآلات تمنع علينا القيام بأي جهد عضلي . ولقد ترى في كل مكان ملاعب للتنس والجولف وحلقات التزحلق الصناعية وحمامات السوم الدافئة والملاعب التي يقوم فيها الرياضيون بمرانهم ومصارعاتهم ، وجميعها مدارىء تمنع التعرض لتغيرات الطقس . وبهذا الاسلوب يستطيع اي من الناس أن ينمي عضلاته من غير ان يعرض نفسه للتعب او الصعوبات التي استلزمتها الحياة في العصر البدائي

اما الاطعمة التي تغذّى بها اسلافنا ، وكانت عبارة عن دقيق الشعير الخشن واللحم والمشروبات الكحولية ، فقد استبدلت بأطعمة غيرها فيها من التنوع ، بقدر ما فيها من النعومة . فقديد لحم البقر والغنم ، ليس في عصرنا ، كما كان في سالف العصور ، الغذاء المعتاد . فان العناصر الاساسية في الغذاء الحديث هي اللبن والقشدة والزبد والبقول والفلال مبرأة من القشور وفواكه المنطقتين الاستوائية والمعتدلة ، والخضر الغضّة او المحفوظة والمشويات ومقادير كبيرة من السكر مصنوعة فطائر او حلوى . ولم يبق محتفظاً بمقامه الاول غير الكحول . كذلك ترى ان غذاء الاطفال قد انتابهُ تغير كبير ذو أثر بيّن . فانهُ الآن في الاكثر صناعي وغزير . وغذاء البالغين لا يقل عن غذاء الاطفال كثرة وغزارة . وانتظام ساعات العمل في المكاتب والمعامل ، نظمت وقت الوجبات استتباعاً . ونظراً الى ازدياد الثروة ، وقد كان عامًّا

حتى عدد يسير من السنين ، والى الضعف الذي اصاب الروح الديني ، والاخلال بمراعاة فرائض الصوم ، لم يمر بالانسان وقت انتظمت فيه التغذية فجددت اوقاتها وروعيت ، كوقتنا هذا

والى ازدياد الثروة وتوزعها في العصر الذي تلا الحرب العظمى ، يرجع السبب في الاقبال على التعلم ، ذلك الاقبال العظيم . فقد انبتت المدارس وشيدت الكليات والجامعات ، وأمها من طلاب العلم جموع غفيرة . ذلك بان شباب هذا العصر قد أدركوا ما للعلم من أثر في دنيانا الجديدة . وقد قال « باكون » — « المعرفة قوة » — لهذا قصدت جميع معاهد التعليم ونشر المعرفة الى تنشئة الشبان والاولاد تنشئة عقلية ، والى جانب ذلك عنيت بحالاتهم الجسمية والتكوينية . ولا خفاء ان الغرض الذي تتطلع اليه معاهد التعليم انما يتجه الى تنمية القوتين ، العقلية والبدنية . ونرى من جهة اخرى ان العلم قد اثبت فائدته في حياة الناس بحيث شغل من برامج التعليم المنزلة الاولى ، وأن عدداً كبيراً من الفتيان والفتيات قد تطوعوا له مختارين الخضوع لنظمه الشديدة . وآية الامر ان المعاهد العلمية والجامعات والاتحادات الصناعية قد عنيت جميعها بتأسيس معامل للبحث يقضي منها لكل باحث علمي الاستفادة من علمه الخاص

ان أسلوب الحياة الانسانية قد تأثر تأثراً عميقاً بالغ المدى بما استكشف من قواعد علم الصحة والطب والمبادىء التي استخلصها « باستور » ولا ريب في ان ذيوع « المبادىء الباستورية » كان بذاته حادثاً من اكبر الحوادث أثراً في حياة الانسانية

ويكفينا ان نعرف ان تطبيقها قد أدى دراكاً الى صد تيار الامراض المعدية التي كانت تكتسح العالم المتمدن بين حين وآخر ، كما قضت على كثير من الامراض التي كانت مستوطنة في كل بلد بذاته . وبذلك ادرك الناس فائدة النظافة ، وقلّ معدّل وفيات الاطفال ، وزادت متوسط العمر زيادة أدت الى العجب ، حتى بلغ في الولايات المتحدة ٥٩ سنة و٦٥ سنة في زيلندا الجديدة . وليس معنى هذا ان الناس قد طالت اعمارهم عن ذي قبل ، انما معناه ان عدد المعمرين منهم قد زادت نسبته . ومبادىء علم الصحة قد ضاعف عدد الناس . أضف الى ذلك أن الطب ، وقد أدرك طبيعة الامراض ادراكاً أوفى ، واستطاع ان يطبق العمل الجراحي تطبيقاً أدق ، مدّ يده الى إنقاذ كثير من الضعفاء وناقصي التكوين ، أولئك الذين قدرت الطبيعة ان يكونوا نهباً للعدوى الميكروبية ، كما ساعد أولئك الذين قضي عليهم ، قبل ان يمد اليهم الطب يده ، أن يعجزوا عن مقاومة اسلوب من الحياة فيه خشونة بعض الشيء . وعلى الجملة تقول إن الطب قد استطاع أن يزيد رأس مال المدنية من حيث عدد النسمات زيادة تضاعفية عظيمة . وفي الوقت ذاته أمكنه ان يهب كل فرد وسائل يأمن بها الالم والمرض

أن بيئاتنا العلمية والادبية التي نعيش مغمورين في غمرها ، قد حوّلها العلم . وان العلم هو الفارق العظيم

بين الدنيا التي تنشى عقل الانسان الجديد ، والدنيا التي غشت عقول أسلافنا الاقدمين . فقبل ان تنال تلك الانتصارات العقلية التي جنتا الثروة والراحة والهناء ، حتمت القيم الادبية محل غيرها من القيم . ولقد كان ذلك طبيعيًا وملائمًا لفطرة الاشياء . أما اليوم فقد اكتسح العقل العقائد الدينية ، واصبحت المعرفة بالسنن الطبيعية والقوة التي استحوذنا عليها بمعرفتنا هذه واستعوضنا بها على العالم المادي وعلى الخلائق البشرية معاً ، وحدها الاشياء ذات القيمة الاولى في اعتبارنا . فالمصارف المالية والجاسات والمعامل ومعاهد البحث ومدارس الطب والمشافي ، قد حازت في نظرنا من الجمال والعظمة ، ما كان للمعابد القديمة والكاتدرائيات النوطية وقصور البابوات ، في الزمن الخالي . وحتى بدء الازمة المالية الحديثة ، كانت رياسة المصارف وشركات سكك الحديد ، مرمى نظر الشبان ، وقبلة آمالهم ومطمح خيالهم

ولا يزال لرؤساء الجاسات من الاعتبار والتقدير في نظر الناس منزلة فذة . ذلك بأنهم يذيعون العلم وينشرون المعرفة . والعلم نبع الثروة والهناءة والصحة . ومع هذا فلا نكران ان الجو العلمي الذي يعيش الانسان الحديث مغموراً فيه في حياته ، قد مضى يتغير بسرعة كبيرة . فان عوامل المال والاساتذة والعلماء وخبراء الاقتصاد بدءوا يفقدون ما كان لهم على الناس من سلطان . فان جماهير العصر الحديث قد نالوا من التعليم قدراً يمكنهم من قراءة الجرائد والمجلات ، وهم فوق ذلك يستمعون إلى الخطب التي يذيعها السياسيون ورجال العمل والدعاة وأصحاب الرسالات المختلفة . وقد تشبعت نفوسهم بقدر عظيم من الدعايات التجارية والسياسية والاجتماعية . تلك الدعايات التي اصبح لها فن خاص معروف أخذ في التقدم نحو الكمال . وكذلك هم يقرءون في الكتب فصولاً بسط فيها العلم وذللت الفلسفة . ولك أن تعرف ان الكون الذي نعيش فيه قد نال من العظمة والجلال ، بفضل ما استكشفهُ علم الطبيعة وما ابان عنهُ علم الفلك ، قسطاً وفيراً . ومع هذا فان أي انسان ، يستطيع إن اراد ، ان يستمع الى شيء من نظريات إنشتين ، او يقرأ كتب إدنجتون وجينز ، ومقالات شابلي وملكن . فالجمهور الحديث مشغوف بالاشعة الكونية شغفهُ بنجوم السينما ولاعبي كرة القدم . والكل يعرفون ان المكان محدود ، وإن الكون مؤلف من قوى عمياء مجهولة ، وإن ذواتنا ليست بأكثر من ذرّات صغيرة تدب على سطح دقيقة من التراب مغمورة في سعة الكون ، وان ذلك الكون على سعته وتراحي نواحيه فاقد الحياة ، فاقد الشعور ، فاقد الوعي . هم يعرفون أن كوننا نظامٌ آليٌّ ولن يكون كوننا غير ذلك ، ما دام انهُ خُلق أساسهُ مجهولات قررها علم الطبيعة وعلم الفلك . على هذا يقوم محيط الانسان الحديث ، فانهُ ليس أكثر من كون تجب تحتهُ علوم المادة الجامدة

٤ — النتائج المترتبة على مثل هذا الانقلاب

ان الانقلابات البالغة التي انتابت عادات الانسان بتطبيق مكتشفات العلوم ، حديثة العهد . والحق اننا ما نزال في غمر الثورة الصناعية . لهذا يصعب علينا أن نعرف معرفة تحقيق ، كيف أثر في خلائق المدنية الحديثة ، تبدُّلُ وجودهم من طراز طبيعي الى طراز اصطناعي ، وانقلاب البيئة التي تشملهم انقلاباً تامًّا . أما ما نحن على يقين منه فهو انَّ انقلاباً كهذا قد وقع بالفعل . ولما كل كائن حي انما يعتمد في بقائه على حالات محيطه ، وبقاؤه في الواقع مرهون بالتغاير الطبيعي لاحتمال كل ما يعتاب محيطه من الانقلاب ، انبقى لنا ان نحقق بأي اسلوب تأثرت حياتنا وعاداتنا وأطعمتنا وتعليمنا ، بل ومنجهاتنا العلمية والادبية ، التي فرضتها علينا المدنية الحديثة . أأصبنا فائدة من هذا الارتقاء ؟ إن الاجابة عن هذا السؤال الهامّ لا تأتي الاّ بان نبحث بحثاً مستفيضاً كاملاً حالة الامم التي كانت اول الامم استغلالاً واستفادة من المكتشفات العلمية

ليس يخفى أن الناس استبشروا بالمدنية الحديثة واستقبلوها فرحين مهللين ، فتركوا الرّيف وبذوه إلى المدن والمعامل ، فاكتظت بهم . وقد عملوا جاهدين ليتمكنوا أن يتحلوا الاساليب والطرائق التي اقتضاها العصر الحديث ، عملاً وتفكيراً . فتركوا عاداتهم القديمة بغير تردّد ، لان تلك العادات كانت توجب عليهم جهداً اكبر . فما لا شك فيه مثلاً أن العمل في مصنع أقل تطلباً للجهد من العمل في الحقل . غير ان الحقل ذاته قد ادركتهُ الوسائل العملية فخففت من خشونة الحياة وحطت كثيراً من متاعبها فيه . والمساكن الحديثة قد هيأت للناس حياة أنعم وأرفه عن ذي قبل . فان ما فيها من الراحة والدفء والانارة التامة ، قد أضفت على سكانها شعوراً بالراحة والرضا ، ومُعدَّاتها الرئيسية قد انقصت كثيراً من الجهد الذي تطلبته من النساء مساكن الاولين . والى جانب ما أنس الناس من انقاص الجهد العضلي وازدياد التأنُّق ، قد اخلدوا فرحين الى حياة الجماعة ، فانهم قلما يتركون فُرَادَ أي منعزلين عن الناس ، وانغمسوا في مشهيات المدن وملاهيها ، والعيش في غمر الجماهير ، والبعد عن التفكير . كذلك تراهم يعيشون بالفكاك ، بما غرس فيهم من تاج التربية العقلية ، من القيود الادبية التي فرضها المُتَحَمِّضون (Puritans) والمبادىء التي فرضها الدين . وفي الحق ان الحياة الحديثة قد ردت الناس أحراراً . فقد فتحت لهم سبيل الحصول على الثروة بكل سبيل مستطاعة وبكل وسيلة ممكنة ، طالما انها وسيلة لا تؤدي بهم إلى السجن . إنها فتحت لهم ممالك الارض وفجاجها . إنها حررتهم من الاساطير وطهرتهم من الاوهام . انها مهدت لهم سبيل استثارة شهواتهم الجنسية كيفما شاؤوا ، وسهلت لهم سبيل ارضائها . انها محت القيود وفكت اغلال النظم وقللت من الجهد الجسمي ، بل ومن جميع الاشياء المتعبة او المكدرة . وعلى

الجملة فان الناس ، والذين هم من الطبقة الدنيا خاصة ، اكثر سعادة وضاءة ، من الوجهة المادية ، مما كانوا في الازمان الاولى . على ان فئة من الناس قد اخذوا يسكون ، ولكن تدرجاً ، عن ان لسهويهم ملهيات الحياة الحديثة أو يأخذوا بلذاتها الغليظة . وهؤلاء في الغالب هم الذين يحول ضعف صحتهم دون الاستمرار في التورط فيما هيأت لهم حياة المدنية من مناهم كالاكل والشراب والتخالط الجنسي ، تلك التي مهد السبيل اليها محو النظم الادبية وكسر اصفادها . هذا إلى جانب أنهم يعيشون مهددين بفقدان العمل الذي يعملون فيه او موارد معيشتهم أو مدخراتهم او ثرواتهم . انهم عاجزون عن ان يرضوا حاجة النفس الى الشعور بالامان والطمأنينة ، تلك الحاجة التي نحس جميعاً انها كامنة في اعماق نفوسنا . وعلى الرغم مما يحف بالناس من ضروب التأمين الاجتماعي ، فانهم يشفقون من مستقبلهم . أما الذين هم قادرون على التفكير ، فانهم ينقلبون متحضين قلقين

من المحقق مع هذا ان الحالات الصحية تتقدم وتتحسن . ولم يقف تحسن الصحة عند نقصان متوسط الوفيات ، بل إن كل فرد قد اصبح اجل تكويناً واكبر حجماً واشد مرّة . فالاطفال في عصرنا الحاضر اكثر طولاً مما كان آباؤهم ، ووفرة الغذاء والمرانة الطبية قد ادّتا إلى زيادة حجم الجسم وقوته العضلية . واكثر الرياضيين المتازين في الملاعب الدولية يفدون من الولايات المتحدة . وفي الفرق الرياضية النابهة للجامعات الاميركية ، تقع على افرادهم في الواقع نماذج عليا للتكوين البشري . والتعليم الحديث اكبر عامل على نماء العظام والعضلات نماء كاملاً . ولقد استطاعت اميركا بطرقها الخاصة أن تستحدث من نماذج الجمال ما يضارع نماذج الجمال القديم في العصور الغابرة . ومع كل هذا نجد ان طول العمر ، مع ما نبذل من جهد رياضي وما نتمتع به من مزايا الحياة الجديدة ، لا يزيد عن طول عمر أسلافنا ، بل ربما كان فينا أقصر منه فيهم . فان قدرتهم على مقاومة التعب والكدّ قد نقصت . والظاهر اجمالاً ان الافراد الذين اعتادوا معالجة المرانة الجسمية الطبيعية ، واحتمال التعب والتعرض لتقلبات الجوّ ومكدّراته كما كان اسلافهم من قبل ، هم اقدر على بذل الجهد وتحمل المتاعب من رجالنا الرياضيين . وإنا لنعلم انّ خصلات التعليم الحديث تتطلب من الفرد أشياء اساسية منها كثرة النوم ووفرة الغذاء وانتظام العادات . بذلك اصبح المجموع العصبي عندنا ضعيفاً ، حتى غدا الناس عاجزين عن تحمل اسلوب الحياة الجديد في المدن العظمى ، والاحتباس في المكاتب ، ومشاغل العمل ، بل اصبحوا غير قادرين على مواجهة المصاعب وآلام الحياة العادية التي عليهم ان يواجهوها كل يوم . لذلك هم يتحطّمون سراعاً . وربما كانت انتصارات علم الصحة والطب والتعليم الحديث اقل قيمة للناس مما نعتقد في العادة

وإن لنا ان نسائل انفسنا : أليس هنالك من نقائص عملية متعلقة بنقصان متوسط الوفيات اثناء طوري الطفولة والفتوة ؟ الحقيقة ان الضعف في عصرنا من فرص الحياة ما للقوي . ذلك بان الانتخاب الطبيعي قد منع عليه ان يؤدي رسالته . ولا يمكن لاحد ان يتكهن عما يكون مستقبل سلالة احشى أفرادها بالطب. غير اننا نترك هذا المشكل الى مشاكل اخرى اعظم واروع تتطلب منا حلاً سريعاً شاملاً . فبينما نرى أن الطب قد استطاع ان يقضي على مرض الاسهال الاخضر في الاطفال ، وان يقف فعل السل والدفتيريا والتيفود ، بل ويقضي عليها قضاء ، نرى ان هذه الامراض قد استبدلت بامراض اخرى ذات طابع انحلالي . اضف الى ذلك ازدياد عدد الاصابات بالامراض العصبية وأمراض العقل . ففي بعض الاقاليم نجد ان عدد المجانين في مشفى ما ، يزيد عن جميع عدد المصابين بأمراض أخرى في بقية المشافي جميعاً . وليس يقف الامر عند الجنون ، بل ان الاضطرابات العصبية ومظاهر الضعف العقلي قد اصبحت اكثر ذيوعاً عن ذي قبل . وانها لاكبر العوامل تأثيراً في احداث التاسة في الافراد والانحلال في الامم . ولا شكّ في ان الانحطاط العقلي أنكى خطراً على المدنية من الامراض المعدية ، تلك التي حصر علماء الصحة والاطباء همهم كله في بحثها ومقاومتها

***

بالرغم من المبالغ المالية الطائلة التي تنفق في الولايات المتحدة على تعليم الاطفال والناشئين فان الطبقة المنتقاة من ذوي العقل الممتاز لم يزد عددها . ولا شكّ في ان الطبقة الوسطى في الولايات المتحدة ، رجالاً ونساء ، تتلقى تعليماً ارقى ، وتعيش عيشاً أرفه مما كان اولاً ، والرغبة في القراءة والاطلاع اصبحت اكبر وأعظم ، والجمهور يشتري من المجلات والصحف اكثر مما كان يشتري جمهور الجيلين السالفين ، والمشتغلون بالعلم والآداب والفنون اكثر عدداً . غير ان اكثرهم مشغول بلمحة صور الادب ، ومن يعمل منهم في العلم والفن يعكف على ما يشبه العلم والفن ، لا على ضروبها العليا . ويظهر من ذلك ان الحالات الصحية الممتازة التي يعيش الاولاد مشمولين بها ، والعناية التي تبذلها المدارس والمعاهد في سبيلهم ، لم تضف شيئاً الى صفاتهم أو نماذجهم العقلية والادبية . وقد يمكن أن يكون هنالك تناقض ما بين نموهم الجسمي ، وتدرجهم العقلية [1]

« البقية في باب الاخبار العلمية »

(١) يريد الكاتب ان يقول ان المدنية الحديثة تجلق بأسابيها قول القائل : اجسام البغال وأحلام العصافير